

ميدل إيست آي: هكذا عززت مذبحة رابعة الاستقطاب السياسي

الثلاثاء 15 أغسطس 2023 06:10 م

في العام الماضي، نشر موقع "ميدل إيست آي" مقتطفات من كتاب "الشرعيات المتنازع عليها: القمع والثورة في مصر ما بعد الثورة" (Contested Legitimacies: Repression and Revolt in Post-Revolutionary Egypt)، حيث يشرح الكاتب "جانيس جوليان جريم" كيف مهدت المجزرة الطريق لعودة الاستبداد. ويقول الكاتب: "مثلت مذبحة رابعة، في أغسطس 2013، حدثاً محورياً للاعبين المتنافسين ونقطة تحول في سياسة مصر بعد الانقلاب". وتابع: "بعد رابعة، احتاج المعسكر المناهض لـ"محمد مرسي" إلى تبرير العنف المنتشر ضد المتظاهرين وبذلك مهد الطريق عن غير قصد لاستعادة السلطوية في الوقت نفسه، لم يتمكن المتظاهرون الضحايا من التخلي عن مطالباتهم بالشرعية وقد حال هذا دون تضامن شعبي أوسع مع القتلى في ميدان رابعة؛ حيث قالت "هيومن رايتس ووتش"، إن 817 متظاهراً على الأقل وربما أكثر من 1000 قُتلوا في الميدان في 14 أغسطس 2013. كما حددت المذبحة الظروف للاحتجاجات في المستقبل: كما عرّف التحالف المناهض للانقلاب نفسه على أنه نقيض قوى الانقلاب، ولم يرد بتبني المقاومة العنيفة، بل بتنوع مراجعه المثيرة للجدل.

بعد المجزرة

أظهرت الأبحاث السابقة حول أحداث القمع العنيف والمذابح كيف يمكن ترجمة تأثيرها العاطفي إلى لحظات رمزية تعطي معنى للنضالات الاجتماعية.

وتذكر الكاتب مذبحة الفاشية في ساحة فونتانا في ميلانو عام 1969 كمثال، حيث تركت علامة دائمة على الذاكرة الجماعية للياسار الإيطالي، وأثارت الاهتمام والتضامن مع أنشطة التعبئة العسكرية المستمرة، وانتقلت إلى مركز الخطابات اليساري؛ حيث تعتبر التعبئة بعد المجزرة وموت اللاسلطي "بينيلي" أثناء استجواب الشرطة له تجارب قاسية لكثير من النشطاء. في سياق مماثل، انتقلت رابعة وضحاياها إلى قلب خطاب المقاومة ضد الانقلاب في تناقض حاد مع تجاربهم السابقة في الحياة اليومية في الاعتصامات، أصبحت العجازر "علامة مفضية جماعية" للمتظاهرين بالنسبة للعديد من المتظاهرين في رابعة وميدان النهضة، لم تكن أسابيع الاعتصام أداة استراتيجية فحسب، بل مكنت أيضاً من تنظيم مجتمعات مصغرة بديلة ومثالية. على وجه الخصوص، كان لاعتصام رابعة مع لوجستياته الداخلية المتطورة، والتمايز الوظيفي، ومشاركة العمل، والأنشطة المجتمعية، وهياكل الدعم الاجتماعي، طابعاً تمهيدياً قوياً وصف العديد من المشاركين في البحث وقتهم في الاعتصامات على أنها تجربة شخصية فريدة غيرت فهمهم للتضامن والحياة الهادفة.

وأضاف الكاتب: "وبالتأكيد، لم تأوي معسكرات مناهضة الانقلاب تحالفاً متعدد الأيديولوجيات على قدم المساواة كما فعل التحرير خلال الربيع العربي ولم يعطوا صوتاً لتطلعات العديد من شرائح المجتمع المصري المختلفة". كان ميدان رابعة العدوية والنهضة يؤويان مجتمعاً قيد الإنشاء حيث التقى أناس من خلفيات اجتماعية واقتصادية وعقائدية وديموجرافية مختلفة في مقاومة جماعية ضد إقامة كتلة تاريخية جديدة على شكل قوات الانقلاب المدعومة من الجيش. وعلى عكس الحكمة التقليدية، لم تكن الاعتصامات مأهولة فقط بالإخوان المسلمين وعائلاتهم؛ فوفقاً للعديد من المحاورين مثلت رابعة مدينة فاضلة متكافئة تتخطى الطبقات والفئات العمرية والحدود التنظيمية وعلى الرغم من أن اللاعبين الليبراليين والعلمانيين تجنبوها - وكان بعضهم، من حيث المبدأ، متعاطفاً مع حقوق أنصار "مرسي" في التعبير عن آرائهم بحرية لكنهم لم ينضموا إلى الاعتصامات، لأنهم اختلفوا مع أهداف المتظاهرين - كانت الخيام مأهولة بالمصريين من جميع مناحي الحياة: علماني وورع، ليبرالي ويساري، ثوري ورجعي.

النظام الاجتماعي المثالي

وأشار الكاتب إلى أن هناك دراسة تُظهر الملامح الاجتماعية والاقتصادية لأولئك الذين قُتلوا في رابعة أن المشاركين في الاحتجاج جاءوا من أكثر من نصف مناطق البلاد، بما في ذلك المناطق الأكثر ازدهاراً وتحضرًا في البلاد بمعنى أنه لم يكن المعسكر مؤيداً للإخوان بقدر ما كان معادياً للانقلاب وأشارت الأحاديث مع المشاركين في حملة مكافحة الانقلاب إلى وجود فصليين على الأقل من اللاعبين في رابعة وميدان النهضة.

تضمنت المجموعة الأولى المؤيدين الفعليين للرئيس الراحل "محمد مرسي". على النقيض من ذلك، تضمنت المجموعة الثانية مواطنين لم يكونوا بالضرورة مؤيدين لـ "مرسي" ولكن قبل كل شيء، كانوا يعارضون الطريقة التي تمت إقالته بها من منصبه. يمثل هذا الشعب في الدوافع لكونها مناهضة للانقلاب اختلافاً كبيراً عن تحالف 30 يونيو الاحتجاجي، الذي رحبت فصائله الرئيسية بالتدخل العسكري ليس فقط لإقالة الرئيس ولكن أيضاً لإلغاء دستور غير مرغوب فيه من المؤكد أنه كان من مصلحة التحالف الوطني لدعم الشرعية تصوير اعتصام رابعة على أنه مجتمع منظم ومتنوع أمقياً، حيث طغت هذه الرواية على التسلسل الهرمي القائم بحكم الأمر الواقع بين الإخوان وغيرهم من أبناء المخيم.

في الحقيقة، لعب أعضاء جماعة الإخوان وموظفو حزب الحرية والعدالة دوراً رائداً في معظم اللجان في الميدان وشاركوا بشكل حاسم في الجهود اللوجستية اللازمة للتشغيل السلس لهذا النظام الاجتماعي المثالي، بما في ذلك توفير الضروريات الأساسية وتنظيم الأمن ومع ذلك، لم يشكل نشطاء الإخوان سوى ما بين الربع إلى الثلث، حسبما أكد العديد من الأشخاص الذين تمت مقابلتهم ممن حضروا الاعتصامات.

توصل شهود العيان الذين قاموا بجولة في موقع المخيم في الأيام التي سبقت الفض إلى نتيجة مماثلة ولأسابيع، أصبح ميدان رابعة والنهضة "مختبرات اجتماعية" حيث تفاوضت القوى المتنوعة المتحالفة في اتحاد القوى الوطنية، واختبرت، وشكلت مجتمعها السياسي المثالي الجديد.

صفات خارقة للطبيعة

في 14 أغسطس 2013، تحطم هذا "المجتمع المتحمس" فجأة ومع ذلك، استمر تماسك الحركة المناهضة للانقلاب؛ حيث أعطت التجربة الجماعية لعنف الدولة الوحشي مزيداً من المشاعر وهوية النضال اللاحق للمتظاهرين.

وكما أشارت المحللة "داون بيرلموتر"، فإن المنعطف الحرج في رابعة وجميع الممثلين والشخصيات والصور والرموز المقابلة له كانت تقريبًا "تتمتع بصفات خارقة للطبيعة".

كما تسبب الفض في صدمة أخلاقية تجاوزت الحدود الجغرافية للميادين التي تمت مدهامتها؛ حيث أصبحت رابعة رمزًا لازدراء السلطات للمعارضة المدنية والحقوق المدنية والحل السلمي للصراع السياسي على غرار جوانتانامو أو أبو غريب اللذان أصبحا رموزًا لانتهاكات حقوق الإنسان في كل مكان باسم الحرب العالمية على الإرهاب

لم تكن مجزرتا رابعة والنهضة بمثابة نقطة تحول فقط للمتظاهرين المناهضين للانقلاب، ولكن أيضًا لخصمهم الآخر ولقيت المجازر صدى قوي مع المعايير العالمية للكرامة الإنسانية والحقوق المدنية لذلك، سرعان ما تحولوا إلى رمز وطني لإساءة استخدام الدولة للسلطات القمعية

في نهاية المطاف، تسببت الحلقات الخلفية في صيف 2013 في رد فعل عنيف من جانبيين لم تكن مجزرتا رابعة والنهضة بمثابة نقطة تحول للمتظاهرين المناهضين للانقلاب فحسب، ولكن أيضًا لخصمهم لا المتظاهرين ولا السلطات يمكن أن تتراجع بعد ذلك وتقدم تنازلات لخصمهم

لإضفاء الشرعية على حملته القمعية العنيفة، لجأ النظام إلى دعاية قومية شريرة تنافس خطاب شرعية التحالف المناهض للانقلاب، وصنفت جماعة الإخوان وحلفائها بالإرهابيين، وأمنت ساحة الاحتجاج في مصر باعتبارها مجالاً غير شرعي لسياسات المتمردين مذبحه رابعة جعلت هذه الرواية العدوانية لا رجعة فيها، مما أدى إلى ترسيخ الاستقطاب السياسي ومهد الطريق لاستعادة الحكم

الاستبدادي

<https://www.middleeasteye.net/opinion/egypt-rabaa-massacre-anniversary-political-polarisation>